إنْ نَجَّاهَا اللهُ لَتَنْحَرَنَّ العَضْبَاء!!

الدكتور محمد عمر الحاجي

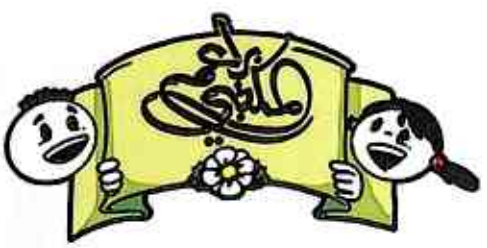

الطبعة الأولى

2017 - 1438

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

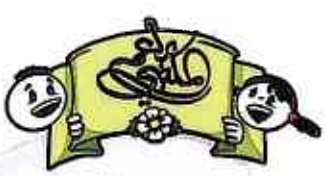

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426

الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309

e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

وَدِدْتُ لَوْ أَنّها قَدْ ذَهَبَتْ!!

وَهَذِهِ حِكَايةٌ لَطيفةٌ حَدَثَتْ مَعَ الصَّحَابِي الجَليلِ عِمْرانَ بنِ حُصَيْن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حَيْثُ كَانَ جَالِساً ذَاتَ يَوْم في مَجْلِسِ الرَّسُولِ ﷺ ، يَسْتَمِعُ إِلَىٰ الكَلاَمِ اللّطِيْفِ العَذْبِ مِنْ فَمِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَإِذَا بناقَتِهِ تَشْرُدُ.

فَطَلَبَها فَلَمْ يَجِدْهَا ، مِمَّا اضْطُرَّهُ إِلَىٰ مُغَادَرَةِ المَجْلِسِ وتَرَكِهُ لِيَلْحَقَ بِهَا ، ولَكَمْ تَمنّىٰ أَنْ يَنْعَمَ بِحلاَوةِ اللّقَاءِ مَعَ الحَبيبِ ، ولتَذْهَبْ نَاقَتُهُ إِلَىٰ غير رجعة!!

فِيْ صَحيحِ البُخارِيِّ عَنْ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

إِنّي عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ إِذْ جاءَهُ قَومٌ مِنْ بَني تَمِيمٍ ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرىٰ يا بني تميم».

قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا.

فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمنِ ـ هُم الأَشْعريّون قَوْم أَبي مُوسىٰ الأَشْعريّ رَضِيَ اللهُ عَنه ـ فَقَالَ: «اِقْبَلوا البُشْرىٰ يا أَهْلَ اليَمَنِ إِذْ لم يَقْبَلها بَنُو تَميم».

قَالُوا: قبِلْنا ، جِئْنَاكَ لنتفقّه في الدِّينِ ، وَلْنَسْأَلكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ.

قَالَ: كَانَ اللهُ ولَمْ يْكنْ شَيءٌ قبْلَهُ ، وكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ ، وكَتَبَ في الذِّكر كُلَّ شَيءٍ».

ثُمَّ أتانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يا عِمرانُ! أَدْرِكْ نَاقَتَكَ ـ أَيْ: اِلحقْ بِهَا ـ فَقَدْ ذَهَبَتْ ، قَالَ: فانْطَلقْتُ أَطْلُبها فَإِذَا السَّرابُ يَنْقَطِعُ دُوْنَها ، وأيمِ اللهِ لودِدْتُ أَنَّها قَدْ ذَهَبَتْ ولَمْ أَقُمْ!! البخاري: [٧٤١٨].

إِنْ نَجَّاها اللهُ ، لتَنْحَرَنَّ العَضْبَاء!!

وهَذِهِ حِكَايةُ اِمْرأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، أُسِرَتْ مَعَ نَاقَتِها

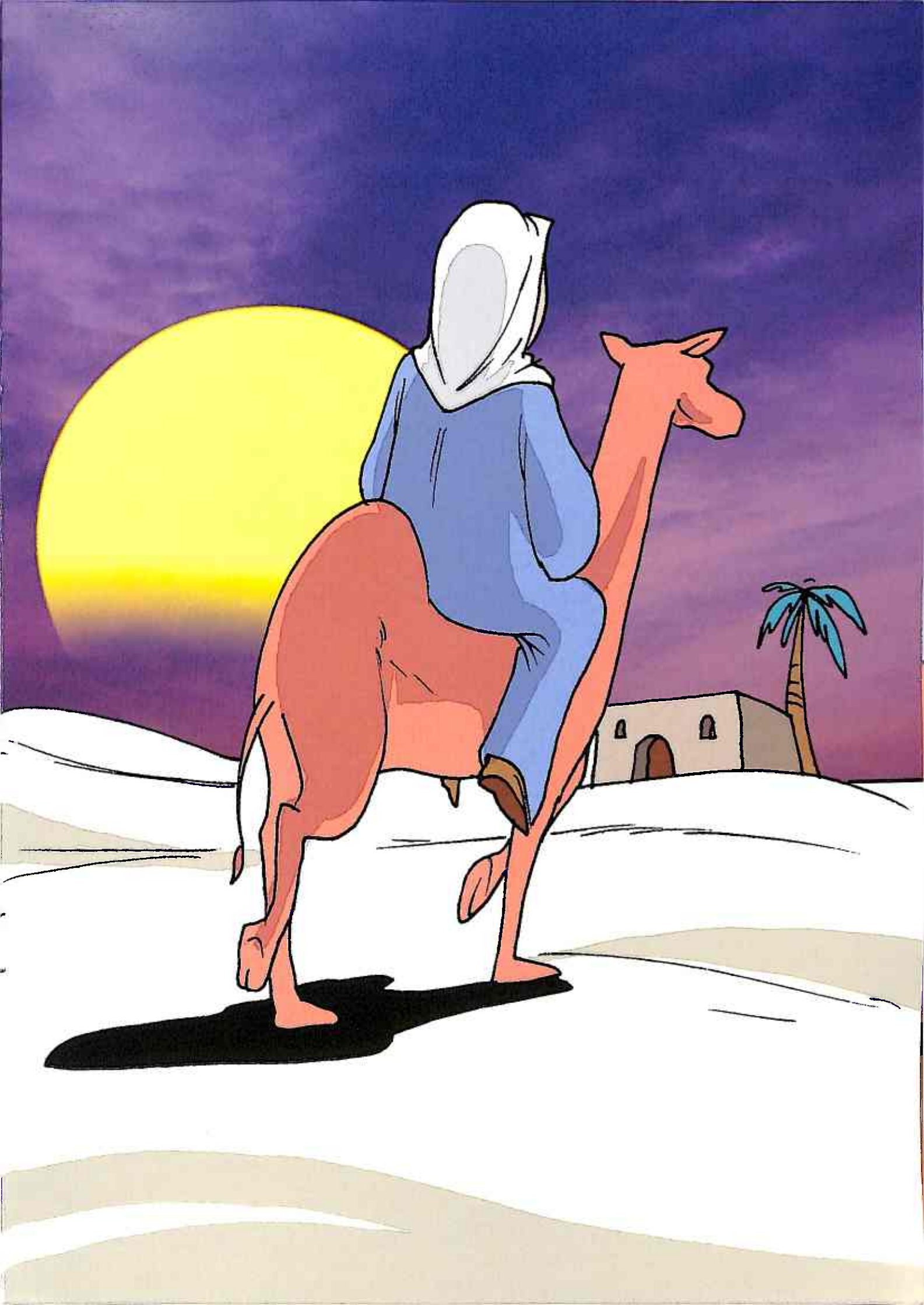

العَضْبَاءِ ، ففكَّتِ المَرْأَةُ وَثَاقَها ، ونَذَرتْ إِنْ وَصَلَتْ بِهَا إِلَىٰ المدينَةِ المنوَّرَةِ أَنْ تَنْحَرَهَا وتُوزِّعَ لَحْمَها عَلَىٰ فُقَراءِ المُسْلمينَ!

ولمّا وَصَلَ الخَبَرُ إِلَىٰ الرَّسُوْل ﷺ أَرادَ أَنْ يُصحّحَ الأمر ، ويُعَلِّمَ الأَنْصَارِيّةَ ومَنْ بَعْدَهَا كَيْفَ يَكُونَ الوَفَاءُ ، حَتَّىٰ مَعَ الحَيَوانِ؟!

كَيْفَ لاَ وَهُوَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ الذّي قَالَ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكم أحسَنَكُم أَخْلاَقاً».

كَيْفَ لاَ ، والله قَالَ عَنْهُ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم: ٤].

فَمَا هِيَ حِكَايَةُ النَّاقَةِ العَضْباءِ؟!

في صَحيحِ الإِمَامِ مُسْلم عَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حلَفاءَ لِبنَي عُقَيلٍ ، فأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلينِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ ، وأَسَرَ أَصْحابُ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً مِنْ بَني عُقيل ، وأَصَابُوا

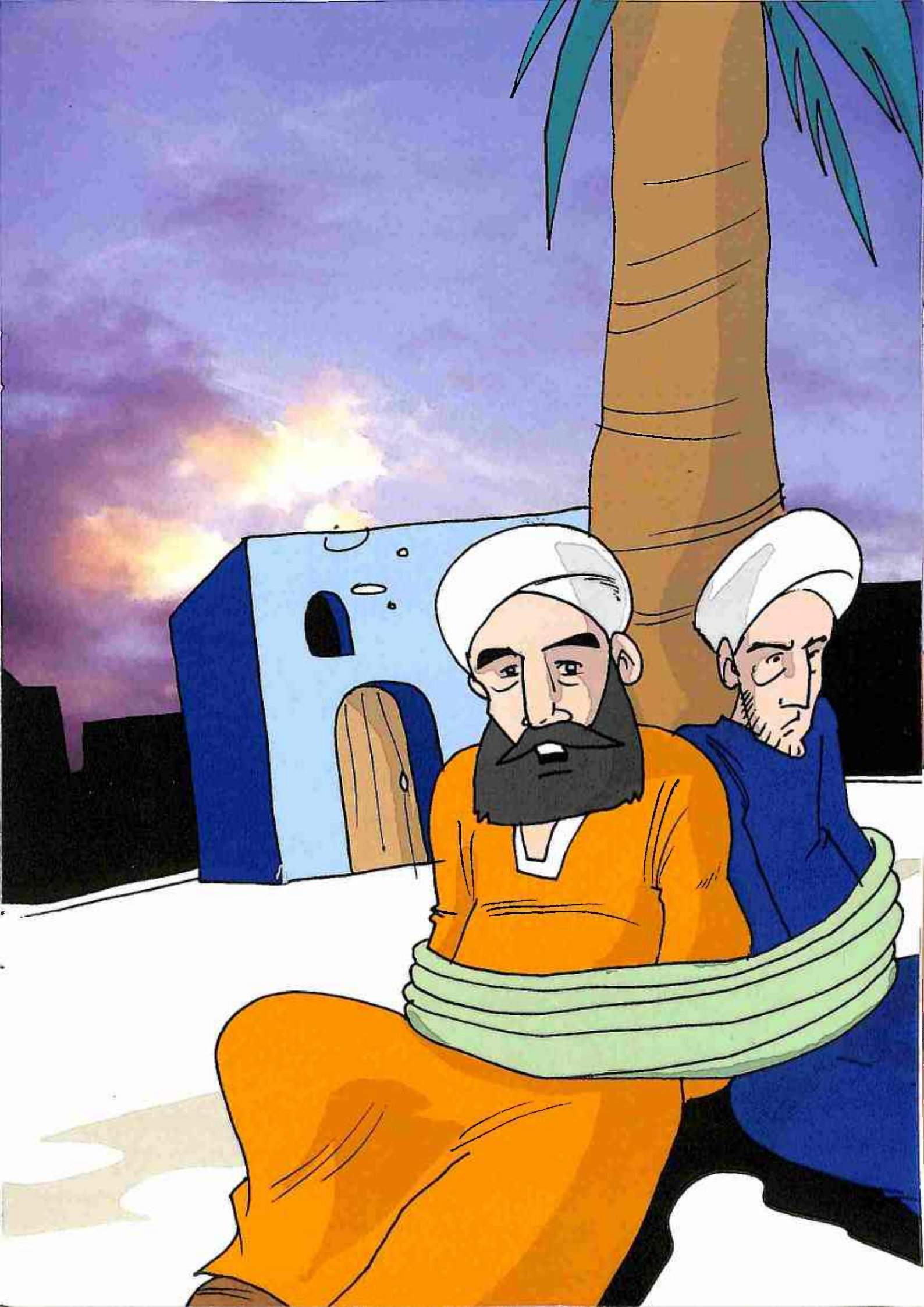

مَعَهُ العَضْباءَ ، فَأَتَىٰ عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهُو فِي الوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ!

فَأَتَاهُ الرَّسُولُ ﷺ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» ـ أَيْ: ما حَاجَتُكَ؟ ـ فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي؟ وبِمَ أخذْتَ سَابِقَةَ الحَاجِّ؟ ـ أَيْ: بِمَ أَخَذْتَ العَضْباء التّي كَانَتْ لا تُسْبَقُ؟

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «أَخَذْتُكَ بِجَرِيْرَةِ ـ أَيْ: بَجِريمةِ ـ حُلفائِكَ ثَقِيف».

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ.

فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ! يَا مُحَمَّدُ! وكَانَ رَسُولُ اللهِ رَحِيماً رَقِيقاً ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟».

قَالَ: إِنّي مُسْلِمٌ.

فَقال ﷺ: «لَوْ قُلتها وأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ ، أَفلحْتَ كُلَّ الفَلاحِ».

ثُمَّ انْصَرفَ ، فَنَادَاهُ ، يا مُحَمَّدُ! يَا مُحَمَّدُ!

فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟».

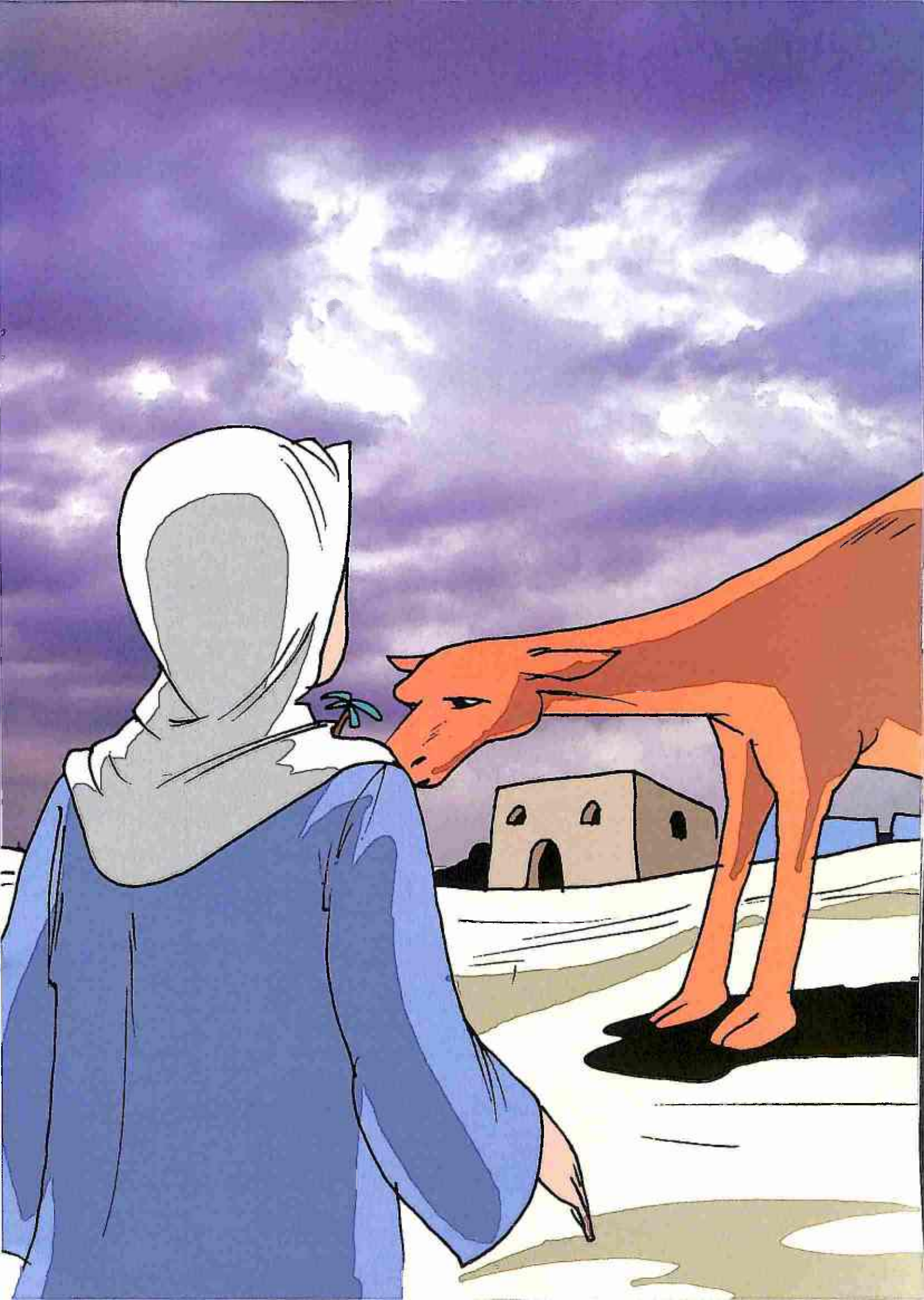

قَالَ: إِنّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْني ، وَظَمْآنُ فاسْقِني.

فَقَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ» فَفُدِيَ بالرَّجُلينِ.

قَالَ: وأُسِرَتْ امرأةٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأُصيبَتِ العَضْبَاءُ ، فَكَانَتِ المَرْأَةُ فِي الوَثاقِ ، وَكَانَ القَومُ يُريحونَ نَعَمَهُم ـ أَيْ: بَهَائِمَهُم وحَيَواناتِهم ـ بَيْنَ يَدي بُيُوتِهِمْ ، فانفلتَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الوَثَاقِ.

فَأَتتِ الإِبِلَ ، فَجعلَتْ إِذَا دَنَتْ ـ أَيْ: قَرُبَتْ ـ مِنَ البَعيرِ رَغَا ـ أَيْ: أَحْدَثَ البَعيرُ صَوْتاً ـ فتترُكُهُ ، حَتَّىٰ تَنْتَهيَ إِلَىٰ العَضْبَاءِ فَلَمْ تَرْغُ.

قَالَ: ونَاقَةٌ مُنَوَّقَةٌ ـ أَيْ: مُذَلَّلَةٌ ـ فَقَعدت في عَجُزِها ـ أي: مؤخّرتها ـ ثم زَجَرَتْها ، فانطلقَتْ.

ونَذِرُوا بها ـ أَيْ: عَلِمُوا وأَحَسُّوا بِهَرَبِها ـ فَطَلَبُوهَا فَأَعْجَزَتْهُم.

قَالَ: ونَذَرَتْ للهِ ، إِنْ نجَّاهَا اللهُ عَلَيْها لتَنْحَرَنَّها ، فَلمَّا قَدِمَتِ المدينةَ المنوَّرةَ رَآها النَّاسُ فَقَالُوا: العَضْباءُ ، نَاقَة رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!

عائشة

فَقَالَتْ: إِنَّها نَذَرَتْ إِنْ نَجَّاها اللهُ عَلَيْهَا لتَنْحَرَنَّها!

فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ.

فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! بِئْسَمَا جَزَتْها ـ أَيْ: بِئْسَ الجَزَاءُ الّذي نَذَرْتَهُ ـ نَذَرَتْ لله إِنْ نَجَّاهَا اللهُ عَلَيْها لتَنْحَرَنَّها ، لا وَفَاء لنذرٍ في مَعْصِيةٍ ، ولا فيما لاَ يَمْلِكُ العَبْدُ»

رواه مسلم برقم: [١٦٤١].

يا ربِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرباً أَوْ حيَّة!!

وهَذِهِ حِكَايةُ بَعيرَيْنِ!

تَرْوي كُتُبُ السِّيرةِ النَّبويّة أَنَّ الرَّسُول ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ الغَزْوِ ونَحْوِ ذَلِكَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ـ أَيْ يَقُومُ بإجراء القُرْعَةِ بينهن ليتمَّ العَدْلُ ـ

وكَانَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُحِبُّ زَوْجَهُ عَائِشَةَ أَكْثَر مِنْ حُبِّهِ لبقيّةِ زَوْجَاتِهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا ورَدَ في سُنَنِ النَّسائي أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كفَضْلِ الثَّرِيْدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ».

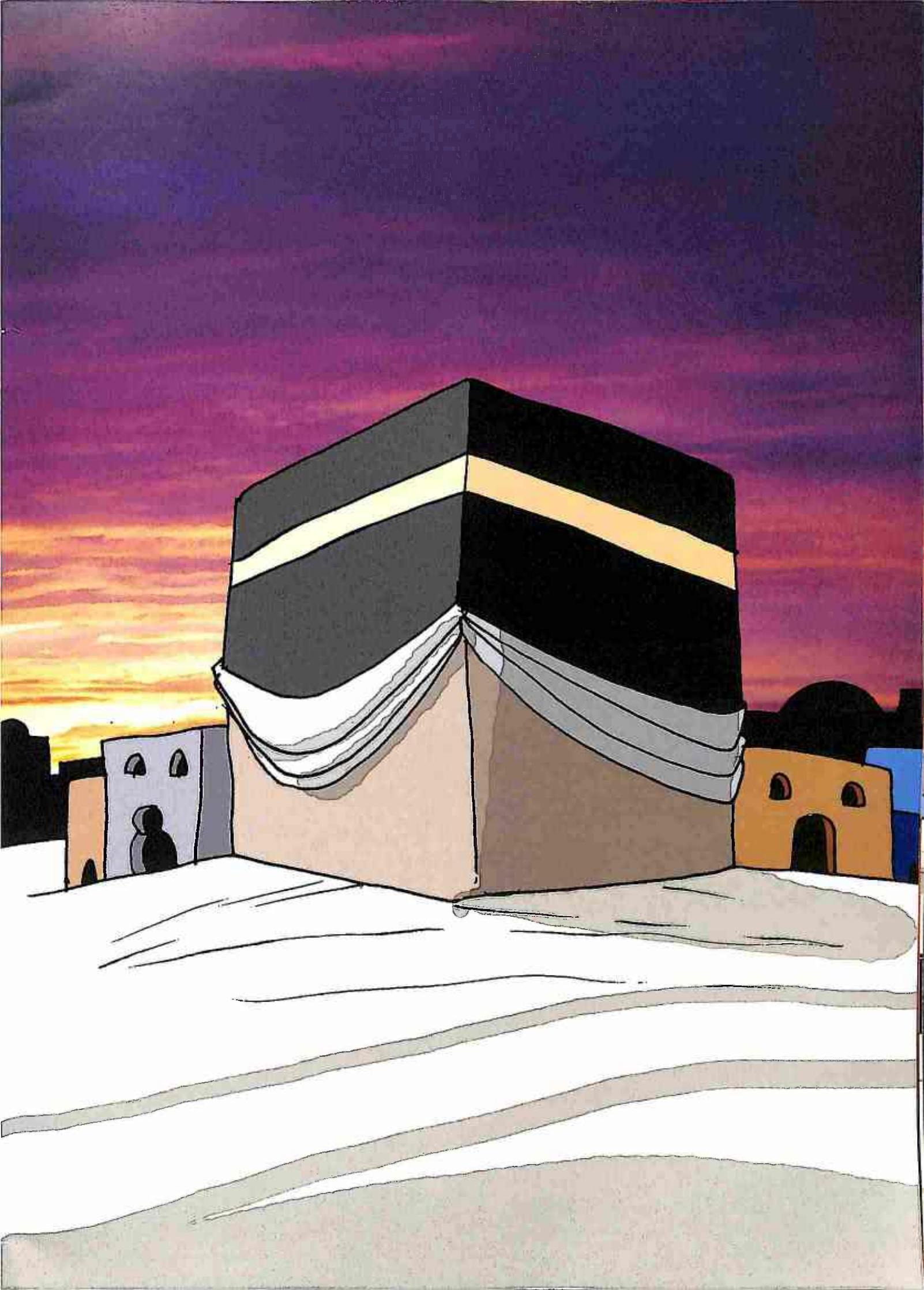

ومَا وَرَدَ في سُنَنِ التِّرمذيِّ عَنْ عمرو بنِ العَاص رَضي اللهُ عَنْهُ قَالَ: «قِيْلَ يَا رَسولَ اللهِ! مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشةُ ، قِيْلَ مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوهَا».

لكِنْ وفي غَزْوَةٍ مِنَ الغَزَواتِ أَقْرَعَ الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَطَارَتْ القُرعَةُ عَلَىٰ عَائِشَةَ وحَفْصَةَ ، فاقترحَتْ حَفْصَةُ عَلَىٰ أَنْ يَتبادَلا بَعيْريْهِما.

كُلٌّ مِنْهُما تَرْكَبُ بَعِيرَ الأُخْرَىٰ!

فماذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

فِي صَحيح مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ بالليلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحدَّثُ مَعَها.

فَقَالَتْ حَفْصَةُ لعائِشَةَ: أَلا تَرْكَبينَ اللّيلة بَعِيري ، وأَرْكَبُ بَعيرَكِ ، فَتَنْظُرين وأَنْظر؟!

قَالَتْ: بَلَىٰ.

فَرَكِبَتْ عَائِشَةُ عَلَىٰ بَعيرِ حَفْصَةَ وحَفْصَةُ عَلَىٰ بَعيرِ

عَائِشَةَ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ جَملِ عَائِشَةَ وعَلَيْهِ حَفْصَةُ فَسلَّم ، ثُمَّ سَارَ مَعَها حَتَّىٰ نَزَلُوا ، فافتقدتْهُ عائِشَةُ ، فَغَارَتْ ، فَلمَّا نَزلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَها بَيْنَ الإِذِخرِ ـ وَهُوَ نَبَاتٌ مَعْروفٌ في البرِّيَّةِ ـ وتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عليَّ عَقْرباً أَوْ حيَّةً تَلْدَغني ، رسولُكَ ولا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئاً!!».

* * *